

إدارة الحشود في الزيارات الدينية المليونية في
العراق (زيارة الأربعين نموذجاً)

أ.د. قاسم شعيب عباس السلطاني

كلية العلوم السياسية

Qassimalsultani@yahoo.com

ملخص البحث

يناقش هذا البحث مفهوم إدارة الحشود في الزيارات الدينية في العراق ، الذي يعد برنامج عمل متكامل الإدارة ، وهذه الأحداث الكبيرة مع وجود شركات وخبراء متخصصين في هذا المجال ، والعمل على ممارسة هذه الزيارات لتلافي التقصير أو الخرق الذي يمكن أن يتعرض له الزائر للمدن المقدسة في العراق، ويجعل المنظمين والمسؤولين في موقف صعب، وينطلق البحث من فرضية مفادها أن وجود جهة فنية مختصة لديها الإمكانيات المادية والبشرية لإدارة ملف الزيارات المليونية سيكون عاملاً إيجابياً في السيطرة وإدارة المخاطر ومواجهة التهديدات وبما يخدم هدف الزيارة والقائمين عليها، وتم تقسيم هذه الورقة على ثلاثة محاور، تناول المحور الاول إطار المفاهيمي (لإدارة الحشود والزيارة الاربعية)، ودرس المحور الثاني «تطبيقات إدارة الحشود على الزيارة الاربعية»، وناقش المحور الثالث (تحديات تطبيق إدارة الحشود في الزيارة الأربعية).

الكلمات المفتاحية: (إدارة الحشود، الزيارة الأربعية ، كربلاء المقدسة)

Crowd Management in the million sized Religious Pilgrimages in Iraq (Arbaeen Pilgrimage as a model)

Prof. Kaseim sh. Abbas Al sultani
College of political science- Al Nahrain universit

Abstract

This research discusses the concept of crowd management in religious visits in Iraq, which is an integrated work program for managing these large events with the presence of companies and experts specialized in this field, and working to institutionalize these visits to avoid negligence or violations that the visitor to the holy cities in Iraq may be exposed to and make Organizers and officials face a difficult situation. This paper will be divided into a group of topics that discuss the theoretical framework of the concept, highlighting a number of pieces of evidence and attempting to apply them to the Arbaeen pilgrimage.

Keywords (crowd management, Arbaeen pilgrimage, Holy Karbala)

المقدمة

يعد مفهوم إدارة الحشود من المفاهيم الحديثة التي اكتسبت طابعا مؤسسيا مع الأحداث التي شهدها العالم في النصف الثاني من القرن العشرين ، لاسيما مع تطور الأحداث الرياضية والمهرجانات الأدبية والفنية التي غالبا ما يصاحبها تواجد جماهيري كثيف يمتاز بالعديد من الصفات المشتركة التي تجعل الجهة المسؤولة عن الرعاية لهذا الحدث في مأزق كبير في حالة لم تضع في حسابها كيفية إدارة هذا الحدث والسيطرة على هذه الحشود، وتوفير بيئة آمنة لممارسة مبتغاها ، من هنا نضج مفهوم إدارة الحشود الذي يعد برنامج عمل متكامل الإدارة، وهذه الأحداث مع وجود شركات وخبراء متخصصين في هذا المجال بات من الضروري الالتفات لمثل هذه البرامج للاستفادة منها في إدارة الزيارات المليونية الدينية في العراق والعمل على ممارسة هذه الزيارات لتلافي أي تقصير أو خرق يمكن أن يتعرض له الزائر أو المنظمين والمسؤولين عن هذه الشعيرة المقدسة .

مشكلة البحث

شهد العراق بعد عام ٢٠٠٣ تزايد أعداد الزائرين إلى المدن المقدسة ، لاسيما في كربلاء والنجف والكاظمية مع عدم وجود جهة مسؤولة بصورة كاملة عن إدارة الزائرين في بداية التغيير السياسي ، مما تسبب في حدوث أزمات كبيرة ، لاسيما التفجيرات التي شهدتها مدينة كربلاء المقدسة ومدينة الكاظمية عام ٢٠٠٥ ، إن الإشكالية التي نطرحها خلال هذه الورقة تتمثل في السؤال الآتي(هل نجحت الجهات الرسمية العراقية في إدارة ملف الزيارات المليونية في العراق ، وهل هي بحاجة إلى تطبيق 'دارة الحشود بصورة أكثر احترافية).

فرضية البحث

إن الفرضية التي اعتمدنا عليها في مسار هذا البحث تتمثل « بأن وجود جهة فنية مختصة لديها الإمكانيات المادية والبشرية لإدارة ملف الزيارات المليونية سيكون عاملاً إيجابياً في السيطرة وإدارة المخاطر ومواجهة التهديدات بما يخدم هدف الزيارة والقائمين عليها» .

خطة البحث

تم تقسيم هذه الورقة على ثلاثة محاور، تناولنا في المحور الأول الإطار المفاهيمي لمفهوم « إدارة الحشود والزيارة الأربعينية »، وناقش المحور الثاني الموسم بـ « تطبيقات إدارة الحشود على الزيارة الأربعينية » خلال بيان تطبيقات عمليات إدارة الحشود على الزيارة الأربعينية وبيان مخاطر وكوارث الحشود في الزيارات المليونية ، ودرس المحور الثالث الذي جاء بعنوان « تحديات تطبيق إدارة الحشود في الزيارة الأربعينية » أهم التحديات والمعوقات التي من الممكن أن تؤثر في تلك العمليات ، مع إدراج عدد من الاستنتاجات والتوصيات لمحاور البحث .

المحور الأول

الإطار المفاهيمي (إدارة الحشود والزيارة الأربعة)

أولاً: إدارة الحشود مفهومها واستخداماتها

تشير كلمة حشد عموماً إلى تجمع مؤقت للأشخاص في مكان معين لسبب مشترك دون خطة تجمع سابقة في زمان ومكان محددين لإنجاز هدف واحد (المالكي، ٢٠٢٢، صفحة ٢١٧)، وتشير إدارة الحشود إلى تنظيم وتقديم الخدمات للحشد، وتشمل التخطيط والتدريب وجمع المعلومات، ويتضمن أيضاً تقييم البنية التحتية وقدرات مقدمي الخدمات في حالة الازدحام والسيطرة على الحشود، ومن ناحية أخرى تشير إدارة الحشود إلى إجراء السيطرة على المواقف التي يواجهها في حالة الطوارئ، مثل الحريق أو التدافع أو التفجيرات، وتشمل عملياتها إنشاء النماذج وإجراءات اتخاذ القرار اللازمة للاستجابة الناجحة (2, TAIBAH, 2006).

بدأت أبحاث إدارة الحشود في أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر، وكانت الحشود منصبة على فهم الجانب النفسي، اذ ركزت الأبحاث على عمليات اتخاذ القرار النفسي في كيفية تشكل الحشود، وقد تطورت الأبحاث المتعلقة بذلك الموضوع في بدايات القرن العشرين، لاسيما مع تطور تنظيم الفعاليات الرياضية والفنية الكبرى، وبحلول السبعينيات من القرن الماضي تم تطويرها لتشمل الأساليب الكمية التي تستخدم الأبحاث التجريبية، مع أنواع معينة من الطرق والمباني لقياس فعالية خطة إدارة الحشود، وغالبا ما يتم قياس حركة الحشود وإدارتها باستخدام تسجيل الفيديو، وخلال تلك الفترة شهد التسعينيات استخدام الباحثون والممارسون التقنيات المتقدمة، مثل محاكات تدفق الحركة في طرق الملاحة وتقنيات حديثة لرسم

الخرائط لمجموعة الحشود باستخدام المعلومات الجغرافية و أنظمة تحديد المواقع العالمي ، ولقد أنتجت التطورات التكنولوجية في القرن الحادي والعشرين العديد من الأدوات التي يمكن استخدامها لتحسين إدارة الأحداث والكوارث، على سبيل المثال يمكن استخدام تحديد الترددات الراديوية (RFID) لتتبع المشاركين في الحدث، وتتبع الأدوات (خاصة الأدوات الجراحية)، وتتبع كتب الاعارة في المكتبات، وتتبع تحركات الأفراد، مثل الأزواج وغيرها (YAMIN, 2018, pp. 2-8).

إن إدارة الحشود هي عملية منهجية لتخطيط وتنظيم ومراقبة التجمعات الكبيرة من الناس بهدف إنشاء بيئة آمنة ومأمونة والحفاظ على الحد الأدنى من المساحة لتجنب الذعر وحركات الحشود السريعة ، وتتوقع إدارة الحشود أسوء الحالات وتخطط لها، مثل الحرائق أو أعمال الشغب، وتهدف إلى تقليل وتخفيف المخاطر المرتبطة بها مسبقاً ، ويبدأ مشروع إدارة الحشود قبل التجمع، ويستمر طوال الوقت وينتهي بعد التجمع أو الحدث، إذ تعرف إدارة الحشود بأنها : «بأنها الإجراءات والسياسات والخطط الموضوعية للتنفيذ قبل وأثناء وبعد انتهاء حشد معين، بهدف ضمان سلامة الحشود والحفاظ على حالة الاستقرار والأمن في مكان الحدث، والحد من وقوع إصابات أو ظهور ما قد يهدد أمن وسلامة الحشود والدولة، مثل الأمراض المعدية أو أعمال الشغب» (الشرقي، ٢٠٢٣، الصفحات ٦-١٧) وفي تعريف آخر :«هي عملية إدارية تهدف إلى التحكم في الحشود وتنظيمها والسيطرة عليها خلال ممارسة وظائف التخطيط والتنظيم والإشراف والتوجيه والرقابة.

غالباً ما يتم استخدام إدارة الحشود أو مطلوبة في الأماكن العامة والأحداث، مثل أماكن الحفلات الموسيقية والمظاهرات والمهرجانات والملاعب الرياضية والمتنزهات

الترفيهية، وغالبا ما يتم إنشاء عمليات إدارة الحشود بوساطة منظم الحدث أو وكالات إنفاذ القانون، ويتطلب التنفيذ الناجح لخطة إدارة الحشود تعاون جميع الأطراف المعنية، بدءاً من موظفي المكان ومنظمي الحدث وحتى تطبيق القانون، ويعد سياق إدارة الحشود مجالاً متعدد الأوجه يضم مجموعة من التخصصات التي تتراوح من تخطيط الأحداث ومحاكاة الحشود لتحليل الإخلاء إلى إدارة الأمن، وتؤدي إدارة الحشود دوراً حاسماً في ضمان أحداث آمنة ومأمونة للحاضرين.

تقسيم منظمة الصحة العالمية الحشود إلى (الشرقي، ٢٠٢٣، صفحة ١٧):

- الحشود المنتظمة والمخططة وتشمل: الأحداث الرياضية، مثل الألعاب الأولمبية وكأس العالم، والأحداث الثقافية، مثل المهرجانات الموسيقية والمعارض، والأحداث الدينية، مثل الحج والزيارات الدينية المليونية في العراق.
- الحشود التلقائية أو العفوية غير المخططة وتشمل: الأحداث السياسية، مثل المظاهرات وجنازات القادة السياسيين، وتجمعات النازحين بسبب الكوارث الطبيعية، وتجمعات النازحين بسبب الصراعات والحروب.
- يمكن تقسيم الحشود البشرية إذا كانت أحداث متكررة أو تلقائية هنالك مجموعة من الإجراءات التي يجب اتباعها في عمليات إدارة الحشود، وهي: (زويد، ٢٠١٦، الصفحات ٢-٣)

تحليل الحشود

تتضمن تفسير البيانات المكتسبة لدراسة الحركة الطبيعية للمجموعات أو الأشياء، أو أجسام جماهير البشر، وهي تحليلات لتتبع الحشود ومعرفة كيف ينتقل حشد معين، وتغيرات نمط الحركة.

كثافة الحشود

تعني عدد الأشخاص في كل ميل مربع، وعدد الأفراد داخل الوحدات، بينما إحساس الحشد بالازدحام وفقدان الحيز الكافي ينتج جزئيا من زحام الحشود.

سلوك الحشود

أفعال وأعمال تقع بين مجموعة من الأفراد المجتمعين الذين قد يعرفون بعضهم بعضاً، وينعدم الإحساس بالمسؤولية لديهم، ويحرصون على تنفيذ ما يعتادون عليه، ويكون الأفراد أثناء التجمعات أكثر جرأة وانفعال من أعمال دون التفكير بالعواقب.

ديناميكيات الحشد

تحديد الطرق المستخدمة لضمان سلامة الحشود، ويحدد معايير اختيار أماكن الكثافة، وأين تتجمع الحشود؟ وشكل تحركها فوق الكثافة الحرجة، واحتمالية ازدحام الأشخاص وإصابتهم، بالإضافة إلى تدفق الحشد والكثافة .

طب الحشود

فرع طبي يهتم في تقديم خدمات صحية فعالة أثناء هذه الأحداث، ويهتم باستكشاف الآثار والمخاطر الصحية للحشود والتجمعات الجماهيرية.

سيكولوجية الحشود

تهتم بدراسة الحالة النفسية التي تحرك الأفراد وتتحكم في سلوكياتهم في الحشود، حيث إن الفرد عند دخوله ضمن الحشد فإنه يفقد السيطرة والتحكم في أفعاله بصورة كبيرة، فيجد نفسه مضطرا .

محاكاة الحشود

تستخدم لخلق مشاهد افتراضية في العالم المرئي، عملية محاكاة لحركة عدد كبير من الكائنات أو الشخصيات.

ثانياً: الزيارات الدينية المليونية في العراق

نعني بالزيارات الدينية المليونية، هي الزيارات التي يشهدها العراق، لاسيما في مدينة كربلاء المقدسة التي تكون ذروتها في ثلاث مناسبات دينية، هي زيارة النصف من شعبان وزيارة العاشر من محرم وزيارة الأربعين (البغدادي، ٢٠١٢، صفحة ١٢) التي سوف تكون نموذجا للبحث، فمن المعلوم إن زيارة الأربعين هي تجمع مليوني بشري سنوي يتوافد فيه الزائرون على مدينة كربلاء المقدسة لزيارة قبر الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) بمناسبة ذكرى أربعينية استشهاده عام ٦١ هجرية (محمد، ٢٠٢١، الصفحات ٦١-٧٧)، ويعود تاريخ هذه الزيارة إلى فترات تاريخية بعيدة، وظل المسلمون يحيون هذه الشعيرة على مر العصور وصولاً للوقت الحاضر (محسن، ٢٠١٩، الصفحات ٤٣-٤٨).

شهدت زيارة الأربعين بعد عام ٢٠٠٣، تحولات واسعة وعلى الصعيد كافة، فقد تزايد أعداد الزائرين بصورة كبيرة حتى وصل إلى عشرات الملايين في هذا العقد (شمص، ٢٠٢٣)، ولم يقتصر الأمر على الزائرين العراقيين وإنما امتد الأمر ليشمل جاليات إسلامية من دول العالم المختلفة، الذين وصل عددهم عام ٢٠٢٢ إلى ٢١١٩٨٦٤٠ مليون زائر (والبحوث، ٢٠٢٣، صفحة ١٥).

انهازت زيارة الأربعين بمجموعة من الخصائص، منها:

- محدودية وقت الزيارة (يوم ٢٠ صفر) ، أو قبل خمسة أيام منه .
- محدودية مكان الحدث (منطقة بين الحرمين) أ
- اختلاف ثقافات و جنسيات و أجناس المشاركين في الزيارة .
- الأعداد الكبيرة التي تتجاوز الملايين .
- تشعب وتعدد الطرق التي يسلكها الزائرون التي تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من ٥٠٠ كم (البصرة - كربلاء) .

المحور الثاني

تطبيقات إدارة الحشود على الزيارة الأربعينية

شهدت الزيارات المليونية اقبالا واسعاً من قبل الزائرين من داخل وخارجه الذين وصل عددهم في بعض الزيارات إلى أكثر من ٢١ مليون (والبحوث، ٢٠٢٣، صفحة ١٥) ، ومن المعلوم أنه يمكننا تقسيم مناطق إدارة الحشود على منطقتين: الأولى: تقع ضمن الحدود الإدارية لمدينة كربلاء التي تحدث في الغالب في زيارة العاشر من محرم من كل سنة ، وزيارة النصف من شعبان ، والثانية منطقة غير محددة ؛ لأنها تشمل أغلب مدن العراق ، وبذلك تقع على عاتق إدارة الحشود مهمة صعبة وهي كيفية إدارة الحشود خلال مسيرتهم — عادة في زيارة الأربعين — من مناطقهم ومن الحدود العراقية وحتى وصولهم إلى مدينة كربلاء ، وبذلك تكون السيطرة على هذه الحشود وإدارتها عملية صعبة ومكلفة وتحتاج إلى جهد كبير بين إدارة المحافظات، مما يتطلب وجود تنسيق عالٍ .

أولاً : تطبيق عمليات إدارة الحشود

كثافة وتحليل الحشود

يمكن استثمار وتطوير هذه الخاصية في الزيارات المليونية لخاصية تحليل البيانات المتوافرة، واستخدامها في مجالات عدة، خلال استخدام برنامج (ماب جيكينك) تسمح أداة MAP CHECKING التي أنشأها أنتوني كاتيل بتقدير عدد الأشخاص في منطقة معينة مع مراعاة كثافة معينة. تطبق الأداة طريقة جاكوبس، التي سميت على اسم هيربرت جاكوبس، الذي اخترعها في الستينيات، وتحوي الأداة على إعدادات مسبقة للحشود الخفيفة (٣٠, ٠ شخص لكل متر مربع)، والمساحات المزدحمة (٢, ٠٠ شخص لكل متر مربع)، والحشود المكتظة (٤, ٠٠ شخص لكل متر مربع)، ويمكننا أن نطبق هذه الخاصية في الزيارات المليونية التي تساعد أنظمة أمان الفيديو مشغلي رصد الزيارة على فهم ومراقبة سلوك الحشود بصرياً خلال كاميرات المراقبة، إذ يمكن للكاميرات المعززة بقدرات تحليل الفيديو المدعومة بالذكاء الاصطناعي، مثل عد الحشود أو قياس تدفق الأشخاص خلال الطرق الداخلية في مدينة كربلاء ومنطقة بين الحرمين .

إن توفر مؤشرات أداء رئيسة قوية في الوقت الحقيقي للحشد، مثل الكثافة لكل متر مربع ومعدل التدفق والسرعة لمسؤولي إدارة الزيارة، عندما تصبح مؤشرات الأداء الرئيسية هذه غير طبيعية، يمكن إطلاق إنذار في نظام إدارة الفيديو، لإخطار المشغل الذي يمكنه اتخاذ القرار بشأن الإجراءات المناسبة، مثل تقليل التدفق خلال التحكم في الوصول، أو إصدار إعلان أو نشر موظفين أمنيين إضافيين، في هذه الحالة، للممر المزدحم، يتم إنشاء تطبيق تدفق الكائنات بخطوط ومناطق لقياس حجم تدفق الأشخاص وكثافته.

سلوك وسيكولوجية الحشود

هنالك الكثير من النظريات الاجتماعية التي تحلل نفسية وسيكولوجية الجماهير والحشود، وهذا أمر هام؛ لأن الكثير من الحوادث تنتج عن هذا السلوك الجمعي (جسر الأئمة في بغداد ٢٠٠٥)، إذ تنج عن انتشار خبر كاذب عن وجود ارهابي حاملاً متفجرات (النهر، ١)، أدى إلى إثارة الرعب بين حشود الزائرين، مما ولد شعوراً جمعياً عند أغلب الزائرين بالتدافع ومحاولة الهرب في كل اتجاه، هذا السلوك من الممكن أن يحدث في الزيارات المليونية مما يؤدي إلى حدوث حالة من الفرع و الهلع، مما يؤثر على كل مفاصل الزيارة؛ ولذلك ينبغي وجود إدارة يمكنها دراسة ومعرفة سلوك هذا الحشد والاستعانة بالخبراء في هذه المجال .

ديناميكية الحشود

تحديد أمان الكثافة وتحديد التوقيتات المتوقعة وبيان التهديد والمخاطر في كل تجمع مليوني، إذ يرتبط هذا المفهوم مع إدارة المخاطر في حين تركز إدارة الحشود على المخاطر التي تأتي من الحشود وحركة الحشود، فإن إدارة مخاطر الأحداث لديها نطاق أوسع من المخاطر، مثل الظروف الجوية، وحماية القاصرين والمسنين، وسلامة الغذاء، والمساعدة الطبية، وإن عملية إدارة حشود الزيارة تعني الاجراءات ما قبل الحدث، مثل تخطيط القدرات وطرق الهروب واللافتات، فيما تشمل السيطرة على الحشود في الزيارات المليونية هي عملية فرعية لإدارة الحشود تعمل على فرض النظام أو استعادته عن طريق تقييد سلوك المجموعة أو الحد منه، ويمكن أن تشمل السيطرة على الحشود أساليب، مثل استخدام القوة أو الاعتقال أو التهديد بإصابة شخصية من قبل أفراد الأمن بمختلف صنوفهم.

طب الحشود

على الرغم من الاستنفار الكامل من دائرة صحة كربلاء أيام الزيارات و دعم وزارة الصحة، إلا أن هذه الزيارات بعدها ظواهر بشرية تحتاج إلى نوع متخصص من الخدمات الصحية غير العادية، لاسيما وأنها بيئة جاذبة للأوبئة والأمراض، إذ أعلن مدير صحة كربلاء الدكتور صباح الموسوي في تصريح لموقع كربلاء الإخباري (علي، ٢٠٢٣)، أن خطة طوارئ زيارة الأربعين، شهدت قيام دائرته والجهد الطبي الساند لها بتقديم الخدمات لـ (٦٣٢، ٦٠٥، ٢) مواطن وزائر، وأن الخدمات كانت موزعة بواقع (٦٩٦، ٢٥٥) مراجع لشعب الطوارئ والإستشارات والعيادات الخافرة في المستشفيات، بينما بلغ عدد مراجعي المفارز الطبية (٦٢٠، ٨٦٦) مُراجعاً بضمنهم (٢٦٢، ١٦٠) مراجع لمركز السيدة زينب الكبرى (عليها السلام) الجراحي التخصصي. ويبيّن، إن «عدد الإحالات التي تم نقلها بعجلات الإسعاف الفوري وصل إلى (٦٩٨ ١٥) إحالة، وعدد العمليات بلغ (٦٦٢) عملية، في حين وصل عدد الولادات إلى (٥٦٩) ولادة ما بين طبيعية وقيصرية (الشمري، ٢٠٢٣).

وأشار الموسوي إلى، أن الجهد الطبي الساند لدائرته المتمثل بالعتبتين المقدستين الحسينية والعباسية والحشد الشعبي وجمعية الهلال الأحمر العراقي وعمليات الوزارة ودوائرها الصحية والطبابة العسكرية وطبابة الحشد الشعبي والمستشفيات الأهلية، كان موزعاً بين (٤٧٣ ٢٠٠، ١) مراجع للمفارز الساندة، و(١٠، ١١٦) مراجع للمستشفيات الأهلية، وبذلك ينبغي تشكيل إدارة طبية مهمة بالأمر الصحية أثناء الزيارة، وتشخيص الأوبئة والأمراض المتكررة في الزيارات؛ لغرض مواجهتها (الشمري، ٢٠٢٣).

محاكات الحشود: هذه العملية في العادة تتم الكترونياً، ويمكن خلالها إعطاء تصورات عن المخاطر والتهديدات المحتملة في الزيارات.

أساليب إدارة الحشود لإدارة الحشود الزائرين بنجاح، من المهم أن ندرك أن سلوكهم ليس عشوائياً، ولكنه يتبع القواعد والأنماط التي يمكن التنبؤ بها، والسلوك الجماعي هو في الأساس نتيجة للاحتياجات الجسدية والفسولوجية والنفسية والاجتماعية للإنسان بما في ذلك: (مساحة كافية - طعام - الماء والهواء - الوصول إلى الحمامات - الشعور بالأمان - التقدم نحو الهدف المنشود - توافر المعلومات والاتصالات والترفيه وما إلى ذلك)، ومن الممكن أن يؤدي عدم الاهتمام الكافي بهذه العوامل إلى تعزيز الكوارث، وخاصة إذا تراكمت أوجه القصور (هادي، ٢٠٢٣).

ثانياً : مخاطر وكوارث الحشود في الزيارات المليونية

توضح خريطة كوارث الحشود في العالم التي أعدها الدكتور علي أصغري، أستاذ مشارك في إدارة الكوارث والطوارئ بجامعة يورك، أن كوارث الحشود للأسف يمكن أن تحدث في كل مكان، وغالبًا ما تحدث مع عدد كبير من الوفيات، عندما تصل كثافة الحشود أو تتجاوز ٤ إلى ٥ أشخاص لكل متر مربع، ينهار الحشد على نفسه، أو يصبح مكتظاً جداً بحيث يتم سحق الأفراد، ويؤدي الضغط على الرئتين إلى نقص الأكسجين (الاختناق) مما قد يؤدي إلى الوفاة، إن الإدارة الشاملة للحشود هي أفضل طريقة لتجنب مثل هذه المآسي وفيما يتعلق بالزيارات المليونية، فإن أهم ما يهدد وقوع كوارث، هي:

كثرة التزاحم في مرقد الأئمة (عليه السلام) وعند مداخل تلك المراكز، إذ حدث العديد من حالات الاختناق نتيجة هذا التزاحم، إضافة إلى إمكانية سقوط العديد من الزائرين أثناء المسير أو الهرولة، كما حدث في أيلول ٢٠١٩ (الصباح، ٢٠١٩)، مما يعرض العديد منهم إلى أن يكون مديناً للحشود، وأهم شعيرة يمكن ملاحظتها

هو ما يحدث في (ركضة طويريج) التي يتدفق فيها الآلاف من الزائرين من مكان محدد ويذهبون هرولة للدخول إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام؛ فتعد أكثر شعيرة من الممكن أن يشوبها مخاطر وكوارث الحشود .

العمليات الإرهابية: شهدت الزيارات المليونية اقبالا واسعاً من قبل الزائرين من داخل وخارجه الذين وصل عددهم في بعض الزيارات إلى أكثر من ٢٢ مليون (برس، ٢٠٢٣)، وهو هدف سهل للتنظيمات الإرهابية التي تحاول أن تنال منهم، وتثير عدم الاستقرار الأمني في العراق (شويخ، ٢٠١٩)، ومن المعلوم أنه يمكننا تقسيم مناطق إدارة الحشود على منطقتين: الأولى: تقع ضمن الحدود الإدارية لمدينة كربلاء التي تحدث في الغالب في زيارة العاشر من محرم من كل سنة وزيارة النصف من شعبان ، والثانية منطقة غير محده ؛ لأنها تشمل أغلب مدن العراق ، وبذلك تقع على عاتق إدارة الحشود مهمة صعبة وهي كيفية إدارة الحشود خلال مسيرتهم — عادة في زيارة الاربعين — من مناطقهم ومن الحدود العراقية وحتى وصولهم إلى مدينة كربلاء (سعيد، ٢٠٢٣)، وبذلك تكون السيطرة على هذه الحشود وإدارتها عملية صعبة ومكلفة ، وتحتاج إلى تنسيق عالٍ بين إدارة المحافظات ومسؤولي إدارة حشود الزائرين ، ويتطلب هذا الأمر انشاء وحدة إدارة المخاطر تابعة لإدارة حشود الزائرين ، مهمتها معالجة وتحديد وتطوير المخاطر التي قد تحدث أثناء الزيارات ، ومن الممكن الاستفادة مما جرى في المملكة العربية السعودية عندما سيطرة جماعة جهيمان العتيبي عام ١٩٧٩ على الحرم المكي واحتجزت عدداً من الرهائن، وتم التعامل معهم خلال فرق كوماندوز متخصصة (جندي، ٢٠٢٢)، وهذا الأمر ما كان ليحدث في حال وجود إدارة خاصة بالمخاطر .

المحور الثالث

تحديات تطبيق إدارة حشود الزيارات المليونية

ذكر المهندس نصيف جاسم الخطابي محافظ كربلاء في آب ٢٠٢٣ خلال لقاء متلفز، إن المشكلة الأساس التي تعانيها مدينة كربلاء تمثلت في عدم فصل الحكومة المركزية بين مشاريع البنى التحتية الخاصة بمناطق وأحياء كربلاء والمشاريع الخاصة بالزيارات المليونية، حيث يجد إنه ليس من العدل احتساب التخصيصات المالية من الموازنات على أساس عدد السكان، فيؤكد بأنه هو المسؤول الأول أمام الجميع رسمياً وشعبياً عن أي اختناق سكاني أو خروقات أمنية ونقص في الخدمات خلال الزيارات المليونية (الشمري، محافظ كربلاء يكشف عن أربع تحديات تواجه الحكومة المحلية خلال الزيارة المليونية المقبلة، ٢٠٢٣).

أهم تحديات الزيارة على المستوى المحلي الخدمي تتمثل في عدد من التحديات، هي:

التحدي الصحي

تشهد التجمعات المليونية وعلى مستوى دول العالم احتشاد العديد من البشر في وقت محدد و منطقة محددة، مما ينعكس على تحدي تقديم الخدمات بصورة عامه والخدمات الصحية بصورة خاصة، وما يميز الخدمات الصحية المقدمة في زيارة الأربعين هو امتداد توقيت الزيارة إلى أيام عدة، و مسيرتها التي تمر عبر أغلب المدن العراقية، إضافة إلى استقبال أكثر من (3,936,975) مليون زائر ومن (٤١) دولة أجنبية (والبحوث، ٢٠٢٣، الصفحات ١٧-١٨)، مما يضيف عبأً آخرًا على المؤسسات الصحية العراقية أن الزائرين الأجانب يأتون من بيئات مختلفة و من مناطق بعيدة لديها بيئة صحية وأمراض وأوبئة مناطقية من الممكن أن تنتقل عن طريق الزائرين

إلى العراق وتتسبب في انتشار الأوبئة والأمراض في العراق مع صعوبة في السيطرة عليها، وبذلك يكون هنالك مهمتين للمؤسسات الصحية العراقية خلال موسم الزيارة، الأولى: تقديم الخدمات الصحية للزائرين، والثانية: هي مواجهة الأمراض الناقلة والسارية أثناء الزيارات المليونة (الساعدي، ٢٠١٧)، مع الإشارة إلى محدودية موارد وزارة الصحة و صعوبة السيطرة على المنافذ الحدودية لاجراء الفحوصات الطبية على الزائرين القادمين من الخارج، مما يجعل هذا التحدي في مقدمة تحديات إدارة حشود الزيارة الأربعينية.

تحدي توفير مياه الشرب

أهم التحديات التي واجهتها الحكومة المحلية إلى هذه اللحظة بإيجاد الحلول الجذرية للقضاء عليها بشكل كلي، ألا وهي تحدي توفير مياه الشرب الباردة للزائرين التي وصفها المسؤولون بأنها « من المشاكل الرئيسة التي يعانيتها الزائرون سنوياً». فيجب معالجة الأمر خلال الاعتناء والاهتمام بمعامل الثلج وزيادة أعدادها، وأشار محافظ كربلاء إلى أن «الخطة التي وضعت من قبل إدارة المحافظة بهذا الخصوص وبالتعاون مع هيئة المواكب الحسينية في السعي بتوفير الماء البارد في الشوارع الرئيسة التي تشهد اكتظاظاً كبيراً» (الشمري، محافظ كربلاء يكشف عن أربعة تحديات تواجه الحكومة المحلية خلال الزيارة المليونية المقبلة، ٢٠٢٣)، مؤكداً تطبيقها خلال أيام الزيارة الأربعينية المقبلة، و نعتقد أن هذا الأمر غير كافٍ، لاسيما مع زيادة أعداد الزائرين، وعدم مقدرة المدينة على تلبية متطلباتهم.

تحدي الكهرباء

إن مشكلة الكهرباء واضحة في موسم الزيارة الذي يصادف في فصل الصيف، ولا بد من التصدي لها ووضع الحلول الجذرية لها، وعلى الرغم من التنسيق بين المحافظة ووزارة الكهرباء واتخاذ جملة من القرارات المساهمة في حل مشاكل الكهرباء في المحافظة، إلا أن كل الحلول كانت ترقيعية ولم يتم بناء محطات كهربائية خاصة بالمدينة تسهم في فك أزمة الكهرباء .

تحدي النقل

بينما أوعزت الحكومة المحلية في كربلاء على مواجهة مشكلة تعدد من أهم التحديات التي خلقت معوقات كثيرة خلال السنوات الماضية ألا وهي مشكلة النقل التي تم السيطرة عليها هذا العام بحسب الخطاب خلال «استحداث طرق داخلية عدة ضمن مناطق المحافظة» وخارجيها من المحافظات المجاورة الوافد منها الزائرون، إضافة إلى توسعة وتطوير عدد من الطرق القديمة، أبرزها «طريق النجف كربلاء وبغداد - كربلاء (الشمري، محافظ كربلاء يكشف عن أربعة تحديات تواجه الحكومة المحلية خلال الزيارة المليونية المقبلة، ٢٠٢٣)، إلا أن إنسيابية حركة الزائرين و كثافتها تحتم وجود طرق بديلة ومشاريع سنوية تستوعب الزيادة المطردة أو المتتابة في أعداد الزائرين (مقدم، ٢٠٢٣) .

تحدي مياه الإسالة

يمثل توفير مياه الإسالة أحد التحديات الهامة أمام إدارة الحشود فعلى الرغم من إشارات إدارة المحافظة بأنها: «استبشر خير بالقضاء على المشاكل المرافقة لها خلال

تأكيداته بالتغلب على نقص ماء الإسالة في مناطق متفرقة من المحافظة، وإنجاز الحكومة المحلية لعدد من محطات ضخ وتحلية المياه» (الشمري، محافظ كربلاء يكشف عن أربعة تحديات تواجه الحكومة المحلية خلال الزيارة المليونية المقبلة، ٢٠٢٣)، إلا أن الأعداد المتزايدة من الزائرين وفي ثلاث مناسبات مليونية تحتم على الإدارة المحلية والمركزية إيجاد حلول جذرية لها خلال خطط استراتيجية طويلة الأمد وقصيرة الأمد تأخذ في حسابها أعداد السكان المحليين والضغط الذي يمارسه الزائرون بأعدادهم المليونية، مما يندرج بخطر داهم يهدد أهم مصدر من مصادر ديمومة هذه الزيارات .

الاستنتاجات

توصلنا خلال هذا البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات، منها :

- تعد إدارة الحشود أداة هامة للحفاظ على سلامة مجموعات كبيرة من الزائرين في المناسبات الدينية خلال اتباع استراتيجيات إدارة الحشود وعملياتها، وإضافة الخبرات المحلية لها مما يساهم في تطوير مفهوم خاص عن إدارة حشود الزائرين خلال الخبرات المتراكمة لديهم على مدى أكثر من ٢٠ سنة مضت.
- تبين بأن قلة الدعم الحكومي لمحافظة كربلاء وإبقاء إدارة الزيارات ومتعلقاتها على عاتق العتبات المقدسة والمحافظة أمر غير حرجي ، ويجب تبني إدارة حشود الزيارات من قبل إدارة لها استقلالية مالية وقانونية ، كما هو الحال في إدارة موسم الحج .
- يبدو إن إدارة الزيارات المليونية في المدن المقدسة لا تملك خطة إدارة الكوارث والأزمات التي قد تواجه الزائرين، مما يجعل أي كارثة أمنية أو طبيعية قد ينتج عنها آثار خطيرة لا تحمد عواقبها .
- هنالك العديد من تطبيقات إدارة الحشود التي يمكن الاستفادة منها في الزيارات

المليونية ، لاسيما تحليل الحشود و ديناميكية الحشود و طب الحشود وغيرها التي يمكن خلال تطبيقها تقليل الجهد و تأمين الزائرين و تسهيل عمليات الحشد المليونى .

- هنالك العديد من التحديات التي تواجه عمليات إدارة الحشد المليونى في الزيارات الدينية ، منها عدم وجود إدارة مستقلة، و قلة الدعم المادى واللوجستى، و تحدى البنى التحتية في المدن المقدسة مما قد يؤثر على عمليات إدارة الحشود.

التوصيات

١. تبني مفهوم إدارة الحشود و تطبيقه في الزيارات المليونية ، سواء بالاعتماد على الجهود الذاتية أم استخدام شركات متخصصة مهمتها إدارة الحشود و كما معمول به في المحافل الدولية المشابه .

٢. استحداث دائرة لإدارة المخاطر تكون مهمتها تحديد المخاطر و بيان طبيعتها و مصادرها و التعامل معها ، لاسيما عمليات تدافع الحشود و العمليات الإرهابية و احتجاز الرهائن ، التي تكون مرتبطة بالحشود ، و اجراء ممارسات عملية عليها و محاكات لها .

٣. استحداث وزارة أو هيئة مستقلة ماليا و إداريا ، تكون مسؤولة عن إدارة الزيارات و الأحداث التي تشهد حضورا كثيفا ، لاسيما الأحداث الرياضية .

٤. تكليف شركات متخصصة في إدارة الحشود لتقديم المشورة عند الحاجة

٥. إن إدارة الحشود أضحت علم متكامل يهتم بدراسة الحشود و العمليات المصاحبة لها من نقطة التجمع حتى تفويج آخر فرد .

٦. إن الضغط الذي يسببه الزائرون في ثلاث زيارات مليونية على البنى التحتية في مدينة كربلاء يحتم على الحكومة المركزية إعطاء الأولوية للمشاريع الخدمية فيها، و زيادة

حصتها من الموازنة العامة .

٧. إعداد فريق متخصص يقدم تصورات عن مستقبل الزيارات والخدمات المقدمة، كأن تكون (رؤية كربلاء ٢٠٥٠) والعمل على تنفيذها .

٨. قد يكون في هذه التوصية شيء من إثارة الجدل، وهي (تحديد عدد الزائرين الأجانب من الدول الأجنبية) واختيار فئات محددة مما يسهم في سهولة إدارة الحشود وتخفيف الضغط على المرافق الخدمية كافة.

٩. أخيراً، الانفتاح على تجارب إدارة الحشود في الدول التي لديها تجمعات مماثلة لاسيما ما تقوم به وزارة الحج السعودية أو كيفية إدارة قطر للحشود في كأس العالم .

قائمة المصادر

أولاً : الكتب والبحوث العربية

١. إبراهيم حسين البغدادي. (٢٠١٢). أسرار زيارة الأربعين . بيروت: الأميرة للطباعة والنشر.

٢. إبراهيم شممص. (2023, 9 5). ماهي زيارة الأربعين التي يشارك فيها الملايين كل عام؟ . تاريخ الاسترداد 5 21, 2024، من عربية BBC NEWS.

٣. أحمد مزاحم هادي. (٢٦ ٢٣ ٢٠٢٣). التخطيط والإدارة في السلوك الجمعي. تاريخ الاسترداد 5, 22, 2024، من مركز النهريين للدراسات الاستراتيجية: <https://alnahrain.iq>

٤. أمير هاشمي مقدّم. (٢٠٢٣). الإحاطة بالأضرار والسياسات المتاحة في زيارة الأربعين (ملخص استراتيجي). بغداد : مركز البيان للدراسات والتخطيط .

٥. أنوار سعيد جواد ، بشرى حنون محسن. (٢٠١٩). زيارة الأربعين قراءة في الأبعاد الثورية. المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين المباركة. كربلاء: كربلاء: مركز

كربلاء للدراسات والبحوث.

٦. حمدان رمضان محمد. (٢٠٢١). ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاحية وأبعادها الإنسانية في العالم الإسلامي: رؤية اجتماعية. كربلاء: مجلة العميد.
٧. محمد خالد محمد الحناوي، طلعت الدمرداش إبراهيم شحاته، عمر زيان الشرقي. (٢٠٢٣). علاقة طب الحشود بإدارة الحشود في الحج والعمرة. الرياض: مجلة جامعة الملك عبدالعزيز.
٨. مركز كربلاء للدراسات والبحوث. (٢٠٢٣). النشرة الإحصائية السنوية لزيارة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) المباركة ٢٠٢٢. كربلاء: مركز كربلاء للدراسات والبحوث / العتبة الحسينية المقدسة.
٩. ساره سعد سعيد المالكي. (٢٠٢٢). دور رئاسة شؤون الحرمين في إدارة الأزمات وتنظيم الحشود بالمسجد الحرام. الرياض: المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات.
١٠. سماح عباس جندي. (٢٠٢٢). حادثة الحرم المكي في المملكة العربية السعودية عام ١١٩١. مجلة القادسية للعلوم النسائية، الصفحات ١-١٨.
١١. سوزان عبد الرحمن الكباوي، فوزي محمد زويد. (٢٠١٦). أثر إدارة الحشود على إدراك املاخاطر والسلوكيات الوقائية بين مشجعي الملاعب الرياضية أثناء جائحة كوفيد١٩. القاهرة: المجلة العربية للإدارة.

ثانياً : الكتب الأجنبية

- H. Taibah. (2006). INVESTIGATING COMMUNICATION AND WARNING CHANNELS TO ENHANCE CROWD MANAGEMENT STRATEGIES: A STUDY OF HAJJ PILGRIMS. TEXAS : UNIVERSITY OF NORTH TEXAS
- .M. Yamin. (2018). Managing crowds with technology: cases of Hajj and Kumbh Mela. Jeddah, Saudi Arabia: King Abdulaziz University.

ثالثاً: المقالات والبحوث المنشورة على الأنترنت

- رواد علي. (21, 5, 2023). صحّة كربلاء تُواصل فحص وتلقيح المقبلين على الحج عبر ثمانية مراكز صحية. تاريخ الاسترداد 2024, 5, 22، من الموقع الرسمي لمحافظة كربلاء المقدسة: <https://karbala.gov.iq/news/4662>
- علي لفته سعيد. (1, 9, 2023). مشاية الأربعين وطريق كربلاء. تاريخ الاسترداد 2024, 5, 22، من الموقع الرسمي لمحافظة كربلاء المقدسة: <https://karbala.gov.iq/news/5051>
- فرانس برس. (6, 9, 2023). كربلاء.. ٢٢ مليون زائر يحيون أربعينية الحسين. تاريخ الاسترداد 2024, 5, 22، من قناة الحرة: <https://www.alhurra.com/iraq>
- محرر جريدة الصباح. (13, 9, 2019). المرجعية تعلن فتح تحقيق بحادث «ركضة طويريج». تاريخ الاسترداد 2024, 5, 22، من جريدة الصباح: <https://alsabaah.iq/13873>
- مها الشمري. (3, 9, 2023). صحّة كربلاء تقدم خدماتها لإكثر من خمسة ملايين زائر خلال زيارة الأربعين. تاريخ الاسترداد 2024, 5, 22، من الموقع الرسمي لمحافظة كربلاء المقدسة: <https://karbala.gov.iq/news>
- مها الشمري. (15, 8, 2023). محافظ كربلاء يكشف عن أربعة تحديات تواجه الحكومة المحلية خلال الزيارة المليونية المقبلة. تاريخ الاسترداد 2024, 5, 22، من الموقع الرسمي لمحافظة كربلاء المقدسة: <https://karbala.gov.iq/news/4954>
- مها الشمري. (30, 9, 2023). محافظ كربلاء يكشف عن أربعة تحديات تواجه الحكومة المحلية خلال الزيارة المليونية المقبلة. تاريخ الاسترداد 2024, 5, 22، من الموقع الرسمي لمحافظة كربلاء المقدسة: <https://karbala.gov.iq/news/4954>
- نصير النهر. (1, 9, 2005). شائعة انتحاري تصيب حشوداً زائرة لضريح الكاظم

بالهلع واتهام الاحتلال و«الدفاع» و«الداخلية» بالتقصير. تاريخ الاسترداد 2024

5, 21، من صحيفة البيان الامارتية : <https://www.albayan.ae>

- هادي حسن شويخ. (30, 9, 2019). مستقبل زيارة الأربعين في ظل التحديات و
التحديات و الفرص. مجلة السبب، الصفحات ٤٩٠-٤٩٢.